الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الوفد
التاريخ: ٢٠٠٢/٢/٧

أعصاب جيهان السادات!

هل قالت «سيدة مصر الأولى» سابقا.. كل ما عندها عن الوزير منصور حسن.. وهى تحاور قناة الجزيرة؟!

جيهان السادات تفقد أعصابها وتقسم بالله أنها لم تكن على علم مسبق بذهاب السادات إلى القدس!

تقول إن رحيل السادات لم يفقدها إيمانها بدورها العام

ونحن نسألها أين هذا الدور الآن.. وكيف تمارسه؟

لو كنت مكان الزميل أحمد منصور، مذيع قناة «الجزيرة» المعروف، لكان لى مع جيهان السادات، شأن آخر. وأعنى «بالشأن الآخر».. هنا.. أن هناك تساؤلات أخرى، كثيرة، وغائبة .. غير تلك التى ألقاها عليها، كنت أتوقع أن يسائلها بها، وان يوجهها اليها، ولكنه لم يفعل، كما سوف نرى، خلال هذه السطور، فخرجت الشهادة، من جانبها، ناقصة.

ولو كنت مكان جيهان السادات، لكان لى مع أحمد منصور نفسه، شأن آخر أيضا.. سواء فى الطريقة التى أجابت بها على تساؤلاته الحائرة، أو فيما يتصل بـ «صبر أيوب» الذى تحلت به، وهى تسمع منه.. وتجيب.

وعندما تنتهى من قراءة كتاب «جيهان السادات شاهدة على عصر السادات».. الذى صدر فى بيروت، ثم تولت أمره فى القاهرة، دار الشروق، سوف ترى أن كل الذين علقوا على الكتاب، وقت أن كان لا

يزال حلقات طائرة فى الهواء، من «الجزيرة» قد اختلفوا حول السادات، وحول كلام جيهان السادات، اختلافا حادا، كما يختلف الليل عن النهار!

بعضهم لعن السادات، ورآه شيطانا يستحق الرجم!

وبعضهم اعتبره واحدا من الأنبياء المرسلين، أصحاب الرسالات.. أو على الأقل من الملائكة الأطهار، الذين يتعين أن تغض الصوت، والبصر، عندما تأتى لهم سيرة!.. وإن كان - فى تقديرى - قد أصاب أكثر بكثير مما أخطأ.

فعلوا ذلك، على الشاشة، وعلى الهواء مباشرة، ثم نسوا، أو لعلهم تناسوا أن الرجل بشر، وأن من حقه أن يخطئ، كما أنه من الطبيعى أن يصيب.

ثم جمع أحمد منصور، كل ذلك، وجعله فى كتاب، عليه اسمه، الى جوار اسم جيهان السادات.

ولكنى لست مع الاثنين.. لست مع منصور، فى منطق الإدانة، الذى مضى عليه، تجاه السادات، منذ أول سؤال، الى السؤال الأخير.. ولا كذلك معها، وهى تجادله طويلا فى باطل!

لا أستطيع أن أخفى اعجابى، بالطريقة التى حاصر بها أحمد منصور، جيهان السادات، على طول الحوار، بأسئلته التى زادت على الألف، مسح بها حياة كاملة، من لحظة ميلادها عام ١٩٣٣، إلى زواجها من السادات عام ٤٨، ومرورا بصعوده السياسى، وحتى الساعة التى سقط فيها، ظهر السادس من اكتوبر عام ٨١.

ولكن.. ورغم الاعداد الطويل، والعميق، الذى سبق الحوار، من الطرفين.. وهو اعداد استغرق نحو عامين، الا انهما، رغم كل ذلك، غابت عنهما أشياء، ما كان ينبغى ان تغيب.

كان أحمد منصور، فى كل سؤال، يتحرى الأشياء التى يراها خيوطا، يمكن أن تلتف، حول عنق السادات. ولم يكن راغبا، فى أى وقت، فى أن يسمع كلمة واحدة، يمكن أن تكون فى صف الرجل، وعندما لم يكن يجدها، كان يصنعها، ثم يسلط عليها الضوء.

وفى غمرة الانسياق لهذا المنطق، والخضوع له تماما، راح يسأل عن أشياء، ما كان له أن يسألها أبدا، لأنها لا تنطلى على عاقل.. وكان الأفضل ان يقفز فوقها، ويمضى.

انه يسألها- مثلا- عن الأيام الثلاثة، التى اختفى خلالها السادات، عندما كان فى زيارة لأمريكا، وكانت هى برفقته، عام ٦٦، بوصفه رئيسا لمجلس الأمة.

هو، بالطبع، يتصور أن الاختفاء حصل، فعلا، ثم يمضى فى تفسيره، على انه كان محاولة من السادات، لتقوية علاقاته بالأمريكان، فى وقت مبكر!!

ولا أعرف من أين أتى الاستاذ منصور، بهذه الحكاية الغريبة جدا، ولا أين قرأها، وحتى لو كان قرأها فى الف كتاب، ما كان له أن يصدق، أن مسئولا رفيع المستوى، مثل السادات- وقتها- يمكن أن يزور بلدا، من حجم أمريكا، زيارة رسمية، ثم يختفى عن الأنظار، ثلاثة أيام كاملة، لا يعلم أحد عنه أى شىء، خلالها، وكأنه عفريت يمكن أن يتخفى عن الأنظار !!

هل هذا كلام؟!

ان هذه الحكاية، لو جاءت فى سياق فيلم، من أفلام الدراما، والخيال، فإن أحدا لن يصدقها، ولن يتصورها، ولن يجد لها معنى، فضلا عن أن تكون قد حصلت، فعلا، ثم جلس منصور إلى جيهان السادات يتجادلان فيها.. وهى تطاوعه!! وتمشى معه فى الجدل، إلى غايته!!

وفى مواقع كثيرة، كان يسائلها بأشياء

تبدو فى طرافتها، وغرابتها، مماثلة لحكاية الاختفاء المفاجئ العجيبة هذه- وربما تتفوق عليها، فإذا سألته هى عن المصدر الذى استقى منه سؤاله، أجاب أن المصدر هو الأستاذ محمد حسنين هيكل،.. مع آخرين!

ولابد ان منصور يعرف، وغيره كذلك يعرف، ان الاستاذ هيكل واحد من خصوم السادات، الذين لم يتركوا نقيصة واحدة، الا والصقوها به، كما أنه، أى هيكل، لم يكن يوما محايدا، ولا موضوعيا، وهو يتكلم عن الرجل.. وقد كانت الخصومة التى نشأت بينهما، بداية من عام ١٩٧٤، كفيلة بأن تستبعده تلقائيا من أى حديث، يدور حول السادات.. ولكن منصور استحضره لأسباب يراها، ولا نراها نحن بطبيعة الحال.

وكنت أود أن يكون كتاب «قصتى مع

جيهان السادات: من أين أتت بهذه الأعصاب وهى تواجه أسئلة كأنها رماح مسنونة؟

الصحافة، لناصر الدين النشاشيبى، من بين الكتب التى اطلع عليها صاحب الحوار، قبل أن يديره، ويسأل جيهان السادات، عما إذا كان كمال أدهم، رئيس المخابرات السعودية السابق، هو الذى وثق علاقة السادات بالامريكان، وتولاها من أولها، وان مصدر الكلام، فى هذا الموضوع تحديدا، هو الاستاذ هيكل!!

كنت أود ان يكون الكتاب إياه، من بين مراجع الحوار، ليرى أحمد منصور بنفسه، طبيعة وشكل الكلام، الذى قاله أدهم، عن هيكل، فى الكتاب.. وهو كلام موجود.. وعليه شهود، والكتاب مطبوع، ويمكن أن يكون متاحا لأى أحد.

ولا أريد أن أنقل ما قيل هناك، بحرفيته، لأن كثيرين سوف يجزعون منه، وسوف يقشعر منه، اكثر من بدن!

شىء كهذا، فات على أحمد منصور، ولو توفر له، ما كان قد مر عليه، ولا توقف عنده، لأسباب يعرفها هو، ونعرفها نحن أيضا.

وبدلا من أن يتوقف معها، عند محطات أساسية، فى طريق السادات، كان يصر، فى الوقت نفسه، على أن يجادلها طويلا، فى أشياء لم تكن فى حاجة الى جدل، مرتين: مرة لأن ما قيل فيها على امتداد عشرين عاما، منذ رحيل السادات، يكفى وزيادة.. ومرة لأن جيهان السادات، نفسها، لم تكن راغبة فى ان تقول جديدا فيها.. وبمعنى آخر، كانت حريصة على ألا تقول شيئا، لا تريد هى ان تقوله، وبكامل رغبتها.

وعندما يئست هى من اقناعه بأنها- مثلا- لم تكن على علم مسبق، بنية السادات فى الذهاب الى القدس، قالت:

أقسم بالله انى أنا عرفتها، حينما أعلنها فى مجلس الشعب!!

ولولا هذه اليمين المغلظة،

والحـــــادة، والقـاطعة، مـا كـان منصـور قـد غـادر السؤال الى

غيره من الاسئلة!
ويبدو انها لم تجد غير هذه الطريقة، كافية لاقناعه بأنها صادقة فيما تروى.
وقد كانت أمامه أسئلة متاحة، يمكن أن تشكل سـاحـة واسـعـة، للحـوار، وللأخـذ والرد، ولكنه تجـاوزها، ولم يتـوقف عندها.. ولا اهتم بها، رغم أهميتها البالغة، فى سياق العمل الذى قرر ان يضطلع به!
إن عبارة واحدة، وردت فى تقديم جيهان السادات، للكتاب، كانت كفيلة بأن تضيف فصلا كاملا الى الكتاب. هذه العبارة يقول: ولم أفقد الإيمان بهـذا الدور، بفـقـد الزوج الواعى المناصـر، وأن فرض الواجب الوطنى،

ان تتغير طرق العمل!

وهى تقـصـد دورها العام، عندما كان السادات موجودا. وهو دور انقطع تماما، واختفى باختفاء الرجل، ولم يعد له وجود، ولا حتى ظل من الظلال!
والفترة منذ اختفاء الدور اياه، الى اليوم، لم يكن من نصيبها سؤال واحد، رغم انه كـان من السـهل، ان تتـفـتح بعشرات الموضوعات، وان تتـجنب فى الوقت ذاته، مزالق الخطر، وهى كثيرة، بطبيعة الحال!
وهو لم يسألها سؤالا واحدا، عن طبيعة علاقة السادات بهيكل، ولا كيف نشـأت العلاقـة، ثم انقطعت نهائيا، بقرار من سطرين، أخرج هيكل من الأهرام، الى الأبد!! وحطم

حـــصنا، كـــان ظن
«الأستاذ» انه سوف يظل

قائما هناك!

ولا سألها عما كان بين السادات، وبين سائر الصحفيين، وخصوصا أنيس منصور وأحمد بهاء الدين وإحسان عبدالقدوس وموسى صبرى.. ومن فى مستواهم، ممن اقتربوا من الزعيم الراحل.

أنيس منصور، ورد اسمه عابرا، فى سؤال خاطف، كان من الضرورى أن يتمدد، وأن تخرج من باطنه عشرات الاسئلة، غير انه ظهر فجأة، ثم اختفى فجأة أيضا، وكأنه لمعة من لمعات البرق، التى تضوى، سريعا، فى الهواء ثم تنمحى!

ولا سألها أيضا، عن علاقة السادات بالبابا شنودة الثالث، وهى علاقة تنام عن ألف سؤال، فى انتظار من يوقظها، فى الوقت المناسب.

وليس هناك سطر واحد، عما كان على مدى سنوات السادات العشر، بينه وبين شيوخ الأزهر، وبوجه خاص عبدالحليم محمود، ولا تلك العلاقة المتماوجة، التى ربطت بين السادات، وبين جماعة الاخوان، ومرشديها، وعلى رأسهم عمر التلمسانى، وقد كانت لهما معا، حكاية شهيرة جدا، يحفظها الذين عاصروها، بتفاصيلها المملوءه بالشجن.

وليس فى الحوار، الذى امتد لأكثر من عشرين ساعة على الهواء، تمدد على ٥٠٠ صفحة مكتوبة.. ليس فيه كلمة واحدة، عما اذا كانت هناك علاقة، كانت تقوم، بين السادات، وبين اسرته القديمة، من السيدة اقبال ماضى، زوجته الاولى.. وما هو شكل تلك العلاقة، اذا كانت قد قامت فى يوم من الايام؟!

وكان فى إمكان أحمد منصور- لو أراد- أن يحلق طويلا، فى المساحة التى تحركت فيها خيوط السادات مع مستشاريه وتشابكت، ومن بينهم

الدكتور على السمان، على سبيل المثال!!.. وهو رجل كان الى جوار السادات، ومرافقا له، لسنوات، لا يزال ما جرى خلالها - وهو كثير - طى الملفات.

ولا نعرف، بالطبع، ما هى الطريقة التى كانت ستجيب بها جيهان السادات، على مثل هذه التساؤلات، لو كانت قد تجسدت أمامها، فى صيغة سؤال.

ولكن الذى نعرفه، بيقين، ان دبلوماسيتها الخاصة، والرفيعة، لم تغادرها، لحظة واحدة، حتى وهى فى أشد الاوقات عصبية، وفقدانا للشعور!

كانت جيهان السادات، كما وصفها أحمد بهاء الدين، ذات يوم، وهو يروى حكايته مع السادات، سيدة فذة، اسطورية، قادرة على أن تأسر الآخرين، إذا واجهوها، وان تنقلهم الى شاطئها، فى دقائق!

وعندما كانت تشعر، ان السؤال يمضى بها، الى أرض لا تكف رمالها عن الحركة، كانت تأخذ حذرها، جيدا، وتتوقى الخطر، وتقوم بعملية من عمليات الانسحاب المغطى، رفيع المستوى، وأنها تقود جيش « روميل » في الحرب الثانية.

ولذلك، لست أصدق، ان الذى قالته عن الوزير منصور حسن، هو كل ما عندها عن الرجل!

لست أصدق، لأنها تعرف، وكثيرون يعرفون، أن ما كان بين منصور حسن، وبين السادات، يمكن أن يكون موضوعا - وحده - لكتاب كامل من الغلاف إلى الغلاف.. فلم يكن منصور حسن، مجرد سياسى شاب أعده السادات، يوما - كما قالت - ليكون رئيسا للوزراء.

لقد سألها أحمد منصور، عما اذا كان السادات أصدر قرارا بتعيين منصور حسن، نائبا للرئيس: فنفت هى، فتجاوز السائل، موضوع السؤال، الى موضوعات أخرى، على طريقة الانتقال الى «جدول الأعمال»!!

ولو شاءت هى لقالت، ولو أراد هو، لكان قد سأل عشرين سؤالا، موقنا بأنها تملك الجواب.. ولكنهما، معا، كان عارفين، بأن هذه المنطقة ليست من المناطق، التى من الحكمة، ان يطول فيها المقام!

ولا أعرف أين ذهبت الحكمة نفسها، وكيف لم تسعفها، وهى تخوض فى علاقة السادات بالدكتور محمود جامع، فتصفه بأنه لم يكن قريبا من السادات، وانما رآه مرة.. أو مرتين!

وكنت أتصورها، وهى تفكر ألف مرة، قبل ان تصف تلك العلاقة، بما ليس فيها، خاصة اذا كان هناك شهود عدول عليها.. شهود من حجم الشيخ الشعراوى، واللواء فؤاد علام، وقبلهما الكاتب الكبير إبراهيم سعدة، بما كتبه عن كتاب د. جامع «عرفت السادات» الذى صدر قبل ثلاثة أعوام، فأحيا ذكرى السادات، وجعلها حروفا مكتوبة على كل لسان.

لم تكن فى حاجة، بالتالى، الى ان تخسر صديقا للعائلة، ومدافعا شرسا عن السادات من قبل.. وكانت فى حاجة الى ان تسأل نفسها، عما اذا كان الرجل الذى يلتقى بالسادات مرة واحدة، أو مرتين، يمكن أن يلتقط معه صورا، بالجلباب البلدى، الذى كان يحلو للسادات ان يرتديه، اذا عاد الى ميت ابو الكوم، هاربا من اجواء العاصمة، ومبتعدا عن الافندية «بتوع القاهرة» كما كان يحلو له أن يقول.

لم تكن فى حاجة، للمرة الثانية

لان تشتبك فى معارك جانبية، من هذا النوع، بينما المعركة الأساسية أمامها.. وجبهتها مفتوحة، ووسائلها متاحة، وأسلحتها مشرعة!

ولا كانت مرغمة، لأن تطاوع أحمد منصور، وهو يستدرجها الى حديث عقيم، عن السيادة المنقوصة لسيناء، بعد استردادها بمقتضى اتفاقية السلام.

ولو عادت- كما فعل اللواء اركان حرب سمير اسماعيل بركات فى رسالة على هامش الحوار، منشورة بالكتاب- إلى الملحق العسكرى للاتفاقية، لكانت أقدر الناس، على أن ترد على نكتة السيادة المنقوصة، التى لا يكف خصوم السادات وأعداؤه عن ترديدها بمعنى، وبغير معنى!.. وأن تنصح جنرالات الميكروفونات، بأن يتوقفوا عن ترديد هذا الكلام الفارغ.

كانت هى فى حاجة الى ان تتخلى- قليلا- عن دبلوماسية، بدت فى أحيان كثيرة، من الأشياء غير اللازمة.

وكانت فى حاجة لأن تتمسك بالحكمة.. اكثر!

وكان هو فى حاجة لأن يقف فى ارض محايدة، وأن يتخلص من قبضة أفكار مسبقة، سيطرت عليه، ولم يستطع أن يفلت من سطوتها عليه.

ورغم أن تلك كلها، من الأشياء الصغيرة، إلا أنها- كما ترى- من النوع الذى يفسد الأعمال الكبيرة!

سليمان جودة